ملخص خطبة الجمعة

بتاريخ ١٥/٥/٢٠٢٦

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

بعد تلاوة التشهد والتعوّذ وسورة الفاتحة، قال حضرة ميرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز إن الأحمديين يؤمنون أنه إن وُجد في العالم إنسان كامل على الإطلاق، فهو سيدنا محمد ﷺ. فلم يبلُغ أحد قبله ولا بعده تلك الدرجة من الكمال. وقد جسّد أسمى معايير أداء حقوق الله تعالى وحقوق العباد، وتمتّع بأخلاق كاملة.

وقال أيده الله تعالى بنصره العزيز إن أي خُلُقٍ من الأخلاق يمكن أن يُؤخذ ويُرى كمالُه في شخص الرسول الكريم ﷺ. ومن هذه الأخلاق خُلُق التواضع، الذي بلغه النبي ﷺ إلى درجة الكمال. كما علّم أتباعه أن يتحلّوا بالتواضع. وقد أمر الله تعالى نبيَّه ﷺ أن يُعلن عن تواضعه بقوله: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ**﴾ (القرآن الكريم ١١١:١٨)

وقال أيده الله تعالى بنصره العزيز إنه بالرغم من أن الله تعالى منحه مقام خاتم الأنبياء وصاحب الشريعة الخاتمة، فقد أمره أن يُعلن أنه بشرٌ متواضع.

وقال أيده الله تعالى بنصره العزيز إنه سيسلّط الضوء على صفة التواضع في حياة الرسول ﷺ.

واقتبس أيده الله تعالى بنصره العزيز قول المسيح الموعود عليه السلام، الذي قال إنه لم يُرَ مثالٌ في التواضع كمثل ما أظهره الرسول الكريم ﷺ. فمع ما أُعطي من مقامات رفيعة، ظلّ يعلن أنه بشر كسائر الناس. وقد بلغ تواضعه درجةً لا يُعدّ معها الإنسان مسلمًا حقيقيًا أو تابعًا صادقًا للرسول ﷺ ما لم يتحلَّ هو أيضًا بالتواضع.

معاملة رجلٍ أعمى

نقل أيده الله تعالى بنصره العزيز عن المسيح الموعود عليه السلام أن رجلًا أعمى كان يأتي إلى النبي ﷺ ويتلو القرآن، فانتظر يومًا قليلًا ثم انصرف لانشغال الناس حوله. فأخبر الله تعالى نبيَّه بذلك، فذهب إليه إلى بيته وأحضره وأجلسه على بساطه. وتبيّن هذه الحادثة كمال تواضع النبي ﷺ، وتعلّمنا أن من امتلأ قلبه بمحبة الله تعالى لا بد أن يتحلّى بالتواضع، وهي درس عملي لنا للاقتداء به.

التواضع وسيلة لنيل الجنة

قال أيده الله تعالى بنصره العزيز إن النبي ﷺ بيّن أن التواضع يرفع الإنسان ويقرّبه إلى الله، بينما الكِبر يُسقطه ويُهلكه، وأن من تواضع لله رفعه الله. كما أوضح ﷺ أن الصدقة لا تُنقص المال، والعفو لا يُنقص العزّة، وأن هذه التعاليم كفيلة بإصلاح المجتمع.

وبيّن أيده الله تعالى بنصره العزيز أن النبي ﷺ كان يرفض المبالغة في مدحه، ويؤكد أنه عبدُ الله ورسوله، ولا يُرفع فوق منزلته التي أعطاه الله إياها. كما قال ﷺ إن دخول الجنة ليس بالأعمال وحدها، بل برحمة الله وفضله، ولذلك ينبغي للإنسان أن يجتهد في العمل مع التواضع والتوجّه الصادق إلى الله تعالى.

دعاء بالتواضع

وقال أيده الله تعالى بنصره العزيز إن النبي ﷺ كان يُسمع وهو يدعو: "اللهم أحيني مسكينًا، وأمتني مسكينًا، واحشرني في زمرة المساكين.

كما ورد أنه ﷺ كان لا يتردد في السير مع الأرامل أو الفقراء ليستمع إلى حاجاتهم. ومع سموّ مقامه الروحي، كان يصغي إلى المحرومين في المجتمع بصبرٍ واهتمام.

تواضعه ﷺ بين الناس

قال أيده الله تعالى بنصره العزيز إن من مظاهر تواضع النبي ﷺ أنه كان يقف ليستمع لحاجة امرأة عجوز بكل صبر، حتى أدرك حاتم بن عدي أن هذه ليست أخلاق الملوك. كما كان ﷺ يلاطف الأطفال، ويسلّم عليهم، ويدعو لهم، ويطمئن من يرتعد هيبةً منه بقوله إنه ابن امرأةٍ كانت تأكل القديد، مبينًا بشريته وتواضعه.

وأشار المسيح الموعود عليه السلام إلى أن تواضعه ﷺ كان يزداد كلما ازدادت نجاحاته. وعند الهجرة، لم يتميّز عن سيدنا أبي بكر رضي الله عنه في المظهر، حتى لم يعرفه بعض الأنصار إلا حين ظلّله أبو بكر بردائه، مما يدل على كمال بساطته وتواضعه.

نهيه ﷺ عن المبالغة في مدحه

وقال أيده الله تعالى بنصره العزيز إن النبي ﷺ نهى عن المبالغة في مدحه كما بالغ النصارى في مدح عيسى عليه السلام. وذات مرة شرع رجل في تعداد صفات النبي ﷺ قبل أن يذكر مقصوده، فأوقفه النبي ﷺ وطلب منه ألا يتأثر بالشيطان، وأن يقول حاجته مباشرة.

وجاءه رجلٌ مرةً فقال: يا خيرَ البرية. فقال ﷺ: ذاك إبراهيم عليه السلام. وهكذا كان تواضعه ﷺ، فمع أنه خيرُ الخلق، صرف هذا اللقب عن نفسه تواضعًا وأعطاه لإبراهيم عليه السلام.

معنى الاسمين «محمد» و«أحمد«

ونقل أيده الله تعالى بنصره العزيز عن المسيح الموعود عليه السلام قوله:

إن اسم «أحمد» مظهرُ الجمال، واسم «محمد» مظهرُ الجلال. فاسم «محمد» يتضمن كونه محبوبًا، لأن اجتماع صفات الكمال المحمودة يقتضي العظمة والجلال. أما اسم «أحمد» فيتضمن كونه مُحبًّا، لأن الحمد يقتضي التواضع والخضوع والانكسار، وهي حالة جمال.

وكان نبينا ﷺ محبوبًا أعظم المحبوبية كما يقتضيه اسم «محمد»، وكان كذلك أعظم المحبين كما يقتضيه اسم «أحمد»، إذ لا يكون الحامد حامدًا كاملًا إلا إذا كان محبًّا، بل عاشقًا، والمحبّ لا بد أن يكون متواضعًا خاضعًا.

وهذه الحالة الجمالية هي جوهر الأحمدية. فمحبوبيته التي دلّ عليها اسم «محمد» ظهرت في الصحابة، وأما الجلال الذي يقتضيه كونه محبوب الله فقد قهر به المعاندين.

كما كتب عليه السلام أن في اسميه الشريفين سرًّا، وهو أن حياة النبي ﷺ انقسمت إلى قسمين: الأول في مكة (ثلاث عشرة سنة) حيث تجلّى اسم «أحمد»، إذ كان يبكي ويتضرع ليلًا ونهارًا، مستغيثًا بالله تعالى، حتى كاد يهلك نفسه حزنًا على الناس، كما في قوله تعالى: ﴿**فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾

وكان بكاؤه لا لنفسه، بل لحال العالم إذ اندثرت عبادة الله. وكان يريد أن يملأ العالم بلذة الإيمان التي ملأت قلبه، لكنه رأى القلوب قد فسدت والطبائع قد انحرفت.

ثم في المدينة تجلّى اسم «محمد»، كما في قوله تعالى: ﴿**وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ**﴾

مواقف أخرى من تواضعه ﷺ

وقال أيده الله تعالى بنصره العزيز إن المسيح الموعود عليه السلام كتب أن تواضع النبي ﷺ بلغ ذروة الكمال، وكان مؤيدًا بروح القدس، وأن بركاته ونوره ممتدان إلى الأبد، وأن كل فضلٍ يُنال في هذا الزمان إنما يُنال باتباعه ﷺ.

وقال عليه السلام إنه يشهد عن تجربة أن أحدًا لا يبلغ رضا الله تعالى ولا ينال الفيوض والأنوار إلا إذا فني في طاعة رسول الله ﷺ، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾

وكان ﷺ من كمال تواضعه أنه لو أخذت عجوزٌ بيده بقي معها يستمع إليها حتى تنصرف.

وروى سيدنا عثمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يعود المرضى، ويتبع الجنائز، ويخالط الناس في جميع شؤونهم. وكان يقبل الدعوة ولو كانت بسيطة، ويقبل الهدية ولو كانت يسيرة.

وقد قُدّم له طعامٌ فيه لحمٌ وقرع، فكان يتحرّى القرع من جوانب القصعة. وقال أيده الله تعالى بنصره العزيز إن في هذا درسًا لنا، فبعض الناس في الجلسة السنوية يطلبون اللحم فقط، بينما علّمنا النبي ﷺ أن نأكل مما يُقدَّم دون تكلّف.

وفي طريق بدر كان ثلاثةٌ يتناوبون بعيرًا، فلما جاء دور النبي ﷺ في المشي، أراد صاحباه أن يظلا يمشيان دونه، فقال: ما أنتما بأقوى مني على المشي، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما.

وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها تقول إنه ﷺ كان يعين في أعمال البيت، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى المسجد.

وقال أيده الله تعالى بنصره العزيز إن هذا درسٌ للرجال الذين يمتنعون عن مساعدة زوجاتهم.

كما كان ﷺ يشارك أصحابه في الأعمال الشاقة كبناء المسجد، ولم يكن يرى نفسه فوق أي عمل.

وختم أيده الله تعالى بنصره العزيز بأن هذه هي نماذج الرسول الكريم ﷺ التي ينبغي لنا أن نسعى لاتباعها في حياتنا.